# أسماء الله الحسنى
# من خلال مدارسة أذكار الصباح والمساء

"اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات
والأرض، رب كل شيء ومليكه ..."

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

## تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

# الفهرس

اللّقاء العشرون ..... ٤

اللّقاء الواحد والعشرين ..... ١٦

## اللّقاء العشرون

السّبت: ١٨ رجب ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

نكمل بإذن الله في هذا اللقاء الّذي نتدارس فيه أذكار الصّباح والمساء من جهة ما في هذه الأذكار من أسماء لله وصفات له -سبحانه وتعالى-.

وقد كان الذّكر الّذي مضى آخر مرة هو سيد الاستغفار، وفيه تبيّن لنا ما يتضمنه هذا الدّعاء من الدّلالة على اسم الله (الغفور) وعلى اسم الله (التّواب)، وعلى توحيده -سبحانه وتعالى- في التّوبة والاستغفار، فهو الّذي إليه يلجأ العبد ليمحو -سبحانه وتعالى- عنه آثار ذنبه.

واليوم بإذن الله نبدأ في ذكر من الأذكار العظيمة الّتي نقولها في أذكار الصّباح والمساء أوصى بها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا الذّكر هو قولنا: «اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ.»[1] وفي رواية: (وشَركِهِ).

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧).

ونبدأ مع هذا الذّكر العظيم مستعينين بربّ العالمين لبيان ما فيه من أخبار عن الله -عزّ وجلّ-وكيف تعلّمنا هذه الأذكار عن الله وكيف يجب أن يمتلئ القلب فهمًا لها وفهمًا لدلالتها على الله، فهمًا لهذه الأذكار وفهمًا لدلالة هذه الأذكار على الله؛ لأنّ المقصود الرّئيس من الأذكار هو: أن نذكر الله، ذكر من يعرف الله وليس ذكر من هو غافل عن الله، فإذا كان هذا هو المقصود فليكن منّا تنبه وتذكّر لما في هذه الأذكار من أسماء الله وأخبار عن الله، سواء كانت هذه الأخبار أخبار صريحة أو هذه الأخبار أخبار ضمنية.

ولنبدأ بأوّل جملة في هذا الدّعاء الّذي فيه: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) قد مر معنا في سيد الاستغفار أنّ معنى (اللَّهمَّ): يا الله، وهكذا حال العبد ينادي الله متوكلًا على الله، معتمدًا على الله، واثقًا في الله. لاحظوا: (اللّهمّ أنْتَ رَبّي)،(اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) وهكذا فينادي العبد ربّ العالمين بما يعرف من أسمائه وصفاته العظيمة.

هنا نقول: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) يعني يا الله.

(عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) وهذا الخبر العظيم عن علم ربّ العالمين من أكثر ما يحتاجه الإنسان خاصّة في الدّعاء، بدأنا بالتّوسل إلى الله بيقيننا أنّه عالم الغيب والشّهادة. وهذا مناسب جدًا لما سيأتي من الاستعاذة في هذا الحديث أو في هذا الدّعاء؛ لأننا سنستعيذ بالله من الشّرور، واستعاذتنا بالله من الشّرور إنما تكون بعد ثقتنا أنّ ربّ العالمين عالم وعلمه محيط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا؛ ولذلك بدأنا كما أمرنا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ)

أي: يا الله يا من وصفه أنّه لا يخفى على علمه شيء، بل أنا على يقين أنك بكلّ شيء محيط، وأن مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا أنت. فهذا اليقين في صفة العلم لربّ العالمين يجري على لسان العبد كلّ وقت وهذا مما يثبّت اليقين في قلوب المؤمنين بربّ العالمين وبكماله وجلاله وعظمته، الله -عزّ وجلّ- بكل شيء عليم.

ولذا حين يأتي الحساب والجزاء وهو -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيء تظهر بواطن الخلق في أعمالهم وتظهر حقائق أقوالهم وأفعالهم، الله بكلّ شيء عليم وأثر هذا أنّه هو -سبحانه وتعالى- الّذي يحسن فيه الظّنّ، فما من قدر قدره وما من أمر شرعه إلّا وفيه المصلحة وكيف لا وهو العليم الحكيم -سبحانه وتعالى-.

فهذا الإيمان ينفع العبد نفعًا عظيمًا، وأدلة هذه الصّفات -أي صفة العلم والإحاطة بكلّ شيء- أدلة كثيرة ولكن ليس في هذه العجالة الكلام عنها، المهم أنك كلما رأيت ورقة ساقطة في الأرض من شجرة كرر على نفسك آية سورة الأنعام وذكر نفسك أنّ الله -عزّ وجلّ- يعلم كلّ ورقة تسقط، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1] وحين تنظر إلى أي حبّة، في أي مكان في حجم الخردل أصغر أو أكبر في ظلمات الأرض فاعلم أن الله يعلمها، ولو نظرت إلى أي شيء رطب كان أو يابس فاعلم أن الله -عزّ وجلّ- يعلمه.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

فهذا الإيمان يجعل الإنسان في راحة وثقة وحسن توكل على الله، والمؤمن يجد آثار إيمانه باسم الله العليم في أمور كثيرة في حياته، يجدها في دعاء الاستخارة مثلًا، يؤمن أنّ الله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يرفع يديه عند كلّ أمر سيقدم عليه ويجد في نفسه حيرة، عند كلّ قرار ذا شأن في حياته، عند كلّ قضية يحتار فيها وتحتاج إلى علم وتحتاج إلى معلومات وهو مهما جمع معلومات لا يدري غدًا ماذا سيكون فماذا يفعل؟ يقول: (اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلمِكَ)[1] فكم هذا الأمر مريح للمؤمنين أن يعلموا أن العلم عند ربّ العالمين، وها نحن نقول: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) فالله يعلم السّر وما أخفى من السّر بل يعلم خائنة الأعين بل الله -عزّ وجلّ- يعلم حتّى خفقات هذا القلب، وما تحدث به النّفس وما تخفيه الصّدور، وهو عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، لا تواري منه سماء سماءً ولا أرض أرضًا ولا جبل لا يخفي عن الله ما في وعره، فهو -سبحانه وتعالى- مطّلع على كلّ شيء، يعلم كلّ شيء، سواء كان هذا الشّيء دقيقًا أو عظيمًا، كبيرًا أو جليلًا، فالغيب الّذي عند النّاس كلّه على حد سواء عند الله ولا أحد يشارك الله في هذا.

هذه الصّفة العظيمة تجعل أهل الإيمان يوحدون الله بالثّقة وأنا لا أثق إلّا في رحمتك، فأنت عالم ما غاب من الخلق وعالم ما شهد الخلق، أنت يا ربّ العالمين تعلم الماضي والحاضر والمستقبل ولا يخفى عليك شيء ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2] لا يعلم الغيب إلّا الله. فهذا مما يطمئن

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٠).

(٢) النّمل: ٦٥.

النّفوس أنّ علم الغيب عند الله. ولا يشكل عليكم أبدًا أن يكون هناك منجمون وأنهم ممكن أن يأتوا بشيء من الأخبار فالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أخبر أنّ الجنّ يركب بعضهم فوق بعض حتّى يسترق المسترق منهم السّمع؛ لأن الله -عزّ وجلّ- بقدرته يطلع الملائكة على شيء من الغيب لينفّذوا ما يجب عليهم أن ينفذوه فيحصل أن يكون هناك بلاء بأن يسمع الجنّي كلمة ثم يسرع قبل أن تأتيه الشّهب فيلتقط كلمة، وقد يؤتى بالشّهاب فيحترق قبل أن يصل إلى هذه الكلمة، أما إذا وصل فيزيد على الكلمة مئة كذبة وهذا هو معنى قول: (كذب المنجّمون ولو صدَقوا).

ولقد اختبأ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خلف الأشجار لابن صياد وقالت له أم صياد: إنّ هذا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مختبئ، فاختبره النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وفي هذا الاختبار قال له: (خبَأْتُ لكَ خَبْئًا) أي: قد خبأت لك خبيئة أي كلمة في صدر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال له: (الدُّخُّ) فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِابْنِ صَيَّادٍ: (اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ قالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فأضْرِبَ عُنُقَهُ، قالَ: دَعْهُ، إنْ يَكُنْ هو فلا تُطِيقُهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ هو فلا خَيْرَ لكَ في قَتْلِهِ.)[1]

يعني وقف عند هذه الكلمة وما استطاع أن يكملها وذلك أن الملك نطق بكلمة: (الدّخان) فسمع الجنّي أوّل الكلمة، كان هذا الأمر وحي إليه من السّماء، إلى أن يأتي بالكلمة ما استطاع أن يأتي بها كاملة فنزل الشّهاب فقطع دابرها بفضل

(١) أخرجه البخاري: (٦٦١٨).

الله فوقفت عند هذه الكلمة، فقال له النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ) لأنها كانت من هؤلاء الجنّ، وهذا ليس غيبًا مطلقًا أصلًا وإنما النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- جعلها في نفسه.

على كل حال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أخبر أنهم يأتون بكلمة صادقة ومئة كلمة كاذبة، ومثل هذا لا تستغربه، ممكن أن يأتي أحد يقول: لماذا هناك أصلًا استراق للسمع؟ هذا يشوش على النّاس في كون أنّ العلم الغيبي لا يعلمه إلّا الله ولكن لا ننسى أننا في اختبار؛ ولذلك نحن ندعو ربّنا اللّهمّ احفظنا من مضلات الفتن، يا ربّ احفظنا من مضلات الفتن. هذا نوع بلاء فالله يبتلي العباد بذلك.

ومن هذا بالمناسبة كثير من النّاس الذّين يعتقدون في الأحجار أو يعتقدون في القبور ماذا يحصل؟ يذهبون عند القبور فيطلبوا أصحابها فيكلمهم الجنّ ويفتنوا بهذا، أو أعظم من هذا ابتلاءً أنهم يدعون أصحاب القبور فهذا يوافق استجابة لله أو عطاء لله فيظنوا ويفسروا الموقف بخلاف الحقّ ويظنوا أنّ صاحب القبر هو الّذي استجاب لهم أو أعطاهم! ولذلك علينا أن نعلم أنّ توحيدنا دائمًا مختبر، وأنّه حين تأتي أمور لها ظواهر وقد تشتبه علينا نردها مباشرة إلى المحكم من عقيدتنا، فمهما رأينا ومهما سمعنا بالآذان والأعين فإنها قد تخطئ وتضل صاحبها إن لم يكن في باطن قلبه عقيدة سليمة، فنحن الحمد الله بفضل الله نسأل الله أن يزيدنا ثباتًا جميعًا ويحفظ علينا ديننا ويصرف عنا الفتن، نعلم أن الله وحده عالم الغيب والشّهادة.

عالم الغيب هو الله -جلّ وعلا- وعلم الله يتضمن ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، ولا أحد يشارك الله في هذه الصّفات العظيمة. وهذا كلّه يطمئن أهل الإيمان ويزيدهم يقينًا بالرّحمن، وهذه الصّفة صفة أنّ الله عالم الغيب والشّهادة صفة لها آثار في حياة المؤمن، ومن أهم آثارها: تعظيم ربّ العالمين، من أهم آثارها: اليقين بقربه -سبحانه وتعالى- وإحاطته بعباده.

فنقول: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) سنلحظ أنّ هناك علاقة وثيقة بين علم الله وبين إحاطة الله لكلّ شيء جملة وتفصيلًا وبين أنّه فاطر السّماوات والأرض.

وأذكركم بأنّ ربّ العالمين قد قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] لاحظوا خلق السّماوات والأرض يدلّنا على قدرة الله وعلى إحاطة الله بكل شيء، فهنا ماذا نقول؟ (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) يعني خالقهما على غير مثال سابق، خالقهما من العدم.

ما علاقة أنّه عالم الغيب والشهادة وأنه فاطر السّماوات والأرض؟ بمعنى ما العلاقة بين الخلق والعلم؟ الخلق يذكرنا بصفتي العلم والقدرة، وعموم ضلال النّاس في عدم فهم هاتين الصّفتين.

لو أتينا بمثال في صفة العلم، الّذي لا يقدر الله حقّ قدره في صفة العلم يمكن أن يعبد غير الله ويقول: هؤلاء وسطاء بيننا وبين الله! ويثبت لهؤلاء

---

(١) الطّلاق: ١٢.

الوسطاء العلم بحاله وسماع ندائه ولا يثبته لله! وهذا هو حال القبوريين، يتصورون أن هذا المقبور يسمع دعاءهم ويعلم عن حالهم ويعطوه هذه الصّفة أكثر مما يعطوها لربّ العالمين. وهذا أيضًا تشبيه من النّاس لله والعياذ بالله بملوك الدّنيا الّذين يحتاجون إلى وسطاء لأن علمهم قاصر، فلا يعلمون من يحتاج أو ماذا يحتاج أو متى يحتاج، أمّا ربّ العالمين فيعلم السّر وأخفى.

ثم انظري إلى صفة أنّه (فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) أي خالقهما الدّالة على قدرته، كثير من النّاس يظنون إما في المقبوريين، أوّل الأمر عند الوثنيين في أوثانهم، عند النّاس الوثنيين الّذين كانوا ولازالوا مثل البوذية مثلًا وعند أي أحد اليوم يظنّ أن أحدًا غير الله عنده مطلق القدرة وأنّه قادر على تسبيب الأسباب، ونحن هنا نتكلم عن شيء لا يقدر عليه الحيّ القادر، ماذا يحصل من هؤلاء؟ يسألون غير الله لظنّهم أنّ غير الله يعلم ولظنّهم أنّ غير الله يقدر، هاتان الصّفتان مع بعض أنّ غير الله يعلم وأنّ غير الله يقدر، تأتين تقولين هذه ليست عقيدتي وإنما عقيدتي متمثلة في هذه الكلمات العظيمة:

(اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ) أؤمن بعلمك بكلّ شيء وقدرتك على كلّ شيء.

هذه الجملة تجتمع في الجملة الثّالثة من جمل الدّعاء: (رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ) الرّبّ هو المالك الخالق المربي المصلح، أنت يا ربّنا (رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ)، الرّبّ: المربي الّذي أوجد من العدم وخلق الأشياء والمليك: الّذي يتصرف ويدبر هذه الأشياء.

فانظري هذا الدّعاء كيف بدأ بتوسلات عظيمة إلى الله -عزّ وجلّ- وبدأ بذكر صفات كريمة له -سبحانه وتعالى- دالة على عظمته -سبحانه وتعالى-.

نحن نتوسل إلى الله بعلمنا بصفاته -سبحانه وتعالى-، وهذا من آثار الدّعاء ومن آثار الأذكار أن نذكّر أنفسنا بما لله من كمال، وهذا من التّوسلات الجائزة أنك تتوسلين إلى الله بما تعرفين من كماله.

معنى ذلك أن يأتي الإنسان فيقول: يا ربّ أنا متيقن أنك عالم الغيب والشّهادة، أنا متيقن أنك فاطر السّماوات والأرض، لك عظيم العلم والإحاطة الكاملة بكلّ شيء، وأنا متيقن أنك على كلّ شيء قدير، وأنا متيقن بأنّ كلّ شيء أنت ربّه الّذي خلقه ومليكه الّذي يتصرف فيه، ثم يجمع هذه التّوسلات العظيمة ويأتي بهذه النّتيجة: (أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ) أعلم علم اليقين وأبيّن هذا العلم وأظهره وأصدقه بعمل أنّه لا إله إلّا أنت (أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ) أن لا معبود حقّ إلّا أنت، أنك وحدك الإله الّذي تستحق التّعظيم لما لك من صفات العظمة، لا يشاركك فيها أحد، وتستحق المحبة التّامة المطلقة لما لك من صفات الجمال والجلال، فأنت ربّ كلّ شيء ومليكه، لا أحد يستحق أن يكون إلهي إلّا أنت، ولا معبود بحقّ إلّا أنت، كلّ ما عبد من دون الله فهو باطل، لا حقّ له في العبودية أبدًا.

بعد هذه التّوسلات بصفات الله وبعد هذا الاعتراف بلا إله إلّا الله يأتي المقصود العظيم من وراء هذه المقدمة الكريمة فيقول الإنسان: (أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي) هذه النّفس الّتي خلقها الله وهو أعلم بما فيها من شرور، النّفس

الأمارة بالسّوء (أعوذُ بِكَ) ألتجئ إليك (مِن شرِّ نفسي) نفسي الأمارة بالسوء، المائلة إلى الشّهوات، الرّاغبة في الملذات الفانية، نفسي الّتي تميل مع الهوى والشيطان، نفسي الّتي أجد منها كسلًا عند الطّاعات، ونشاطًا عند الشّهوات، أشتكيها إليك، أشتكي نفسي إليك، وأود أن تخرجني من ضيقها إلى رحابة النّفس المطمئنة الرّاغبة في كلّ خير، النّفس الّتي تحب الخيرات وترغب في الطّاعات، النّشيطة في حال الحسنات، الّتي هي محبوسة عن السّيئات، هذه النّفس الّتي أرغب أن تجعلها لي.

ولذلك انظروا لحال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كيف في خطبة الحاجة دائمًا يكرّر ويقول: (ونعوذُ باللَّهِ من شُرورِ أنفسِنا و سيِّئاتِ أعمالِنا) فالنّفس معلوم أنّ فيها النّفس الأمارة بالسّوء فأنا أهرب إلى ربّ العالمين من أجل أن يقيني من أثر هذه النّفس الأمارة بالسّوء ويرزقني نفس مطمئنة، نفسي ابتليت بها فيها دواعي الشّر، ركب فيها غرائز وشهوات: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾[1] إلى آخر هذه الآية العظيمة الّتي تصف البلاء الّذي نحن فيه، فهذه النّفس تتجاذبها الأشياء، لا أستطيع أنا أن أفطمها عن محبوباتها وأقطعها عن مشتهياتها إلّا بعون من الله. فمن أجل أن تستقيم نفسي لابد أن أشتكيها إلى الله وأذهب بها إلى الله وأستعيذ بالله من شرها، وأطلب منه سبحانه فهو على كلّ شيء قدير ولا تنسوا أنّه عالم بنفوسنا (فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) أي قادر على كلّ شيء، أطلب منه أن أعطني نفسًا مطمئنة، أعذني من شر نفسي وأبدلني بها

(١) آل عمران: ١٤.

نفس مطمئنة، لا تأمر إلّا بالبّر والمعروف والتّقوى، وكلّما هاجت نفسي عليّ ودفعتني إلى الشّهوات حاربتها بالشّكوى إلى الله والاستعاذة من شرها إلى الله.

ولكن هذا لا يكون حقيقة إلّا إذا كانت عين العبد على نفسه، مراقب لحركة قلبه، خائف منها وليس ما ترون اليوم من الثّقة في النّفوس ومن التّدليل لها بل يصبح النّاس اليوم على كلام لم يأتِ به لا الأولين ولا الآخرين، والّذي يقول: "دلع نفسك"! والّذي يقول من هذا الكلام الّذي لا يأتي به عاقل، وحتى في أمور الدّنيا وليس في أمور الدّين، متى كان المؤمن العاقل يطمئن إلى نفسه؟! بل متى كان الإنسان العاقل يطمئن إلى نفسه ويعطيها وفق هواها؟! لا ينجح الإنسان أبدًا لا في دينه ولا حتّى في دنياه ولكن هذه حبائل الشّيطان.

ولذلك مباشرة قال: (أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ) الّذي يدخل على الإنسان بوسوسته وإغوائه وإغرائه، الّذي يأتي يبحث في نقاط ضعف الإنسان ويمد يده إلى نقاط ضعفه ويزين له الأمر الّذي تكون نفسه أصلًا مائلة إليه، ويزيّن له الشّر والفساد والإفساد، فيكون الإنسان ضعيفًا في نفسه ويأتي الشّيطان يعطي النّفس الأمارة بالسّوء قوة.

ولذلك ذلك الحديث يبيّن أنّ فريق الشّر يأتي من عنصرين:

- من بواعث داخلية تبعث من النّفس.
- وخارجية من الشّيطان.

ولكن لابد أن نعرف أنّ الدّواعي الدّاخلية هي البداية، المنشأ والمبدأ من النّفس الأمارة بالسّوء. ثم إذا شمّ الشّيطان رائحة النّفس ووجد ضعفها ألمّ بها،

وقد مر في الحديث: (إنَّ للشيطانِ لَمَّةً وللمَلَكِ لَمَّةً) متى يلمّ الشّيطان؟ عندما يجد ضعفًا من الإنسان، ولكن هذه نفوسنا ضعيفة؟ نعم، ما الحل؟ الشّكوى إلى الرّحمن، الرّحمن الّذي يرحمنا من شر أنفسنا، قلت له أنت عالم الغيب والشّهادة، تعلم ما توسوس به نفسي وتعلم كيف يتسلط عليّ الشّيطان، أشتكي نفسي إليك وأشتكي الشّيطان (أعوذُ بِكَ) ألجأ إليك كإنسان اعتدى عليه أحد ويهرب ويبحث عن ملجأ ويشتكي الّذي آذاه، فالنفس الأمارة بالسوء تُشتكى إلى الله، والشّيطان يُشتكى إلى الله، فالإنسان يخشى على نفسه من نفسه ومن شياطين الإنس والجنّ.

وهنا: (وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ) بكسر الشّين وسكون الرّاء (وشِركِهِ) وبفتح الشّين والرّاء: (وشَرَكِهِ) أي حبائله الّتي يصطاد بها النّاس فيزيلهم عن الطّريق المستقيم، والأكثر والأشهر أنّه بتسكين الرّاء أي الشِّرك، أي أنّ الشّيطان يدخل الإنسان إلى أبواب الشّرك لأن هذا الّذي يريد أن يصل إليه قمة الإشكال.

هذا الحديث فيه زيادة: (وأن أقترِفَ علَى نَفسي سوءً أو أجُرَّهُ إلى مسلِمٍ) وإن شاء الله هذه الجملة وما بعدها والكلام عن الشّيطان أكثر وحبائله إن شاء الله يكون مفتتح كلامنا في اللقاء القادم، نشرح هذه الجملة ونشرح أيضًا حبائل الشّيطان الّتي يجر بها الإنسان.

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعلنا من الذّاكرين الصّادقين الذّين يتعلمون من هذه الأذكار عن الله ويناجونه بما يعلمون وهم صادقين، اللّهمّ زدنا إيمانًا وعلمًا ويقينًا وثبتنا على الدّين، اللّهمّ آمين.

## اللّقاء الواحد والعشرين

السّبت ٢٥ رجب ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

لازلنا في هذا الدّرس المبارك، نتدارس سويًا ما ورد في أذكار الصّباح والمساء من خبرٍ عن أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته، وهذا الأمر العظيم -أمر معرفة ربّ العالمين- لأجله الخلق خلقوا، ولأجله كان الشّرع وقام سوق الجنّة والنّار.

والدنيا الّتي هي دار ممر الله فيها غيب -سبحانه وتعالى- ولكنه أشهد خلقه على وجوده وكماله وعظمته وجلاله بما أبدع في الكون وبما أمرهم أن يتفكروا فيه معرفة ربّ العالمين هي أساس هذا الدّين بل أساس كلّ دين نزل من عند ربّ العالمين، بل لأجله خلق الخلق، فإذا كانت هذه منزلة معرفة ربّ العالمين من الدّين، فلنعلم أنّ كلّ ما أمر به الله -عزّ وجلّ- وكلّ ما شرعه الله -عزّ وجلّ- إنما هو للتعريف به وللتقرب إليه وللزلفى بين يديه -سبحانه وتعالى-. وكلّ ما شرع وكل ما أمر يزيد المؤمن إيمانًا به -سبحانه وتعالى-، بل وهذه بشرى لأهل العقائد السّليمة الذّين عرفوا الله واعتقدوا ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه وسلموا من أقوال الدّجالين والمتفلسفين بشرى لهم بأنّ حسن عقيدتهم في الله -بمعنى

صحة عقيدتهم ووضوحها- سبب لمضاعفتهم لأجورهم، ليبشر أهل السّنة والجماعة الذّين سلمت عقائدهم من الفلسفات والهرطقات، بأنّ سلامة عقيدتهم سبب لمضاعفة أجورهم، فإن أهل السّنة والجماعة السّالمين في أبواب العقيدة جميعها إذا قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدعة إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم الباطلة، فالحمد لله ربّ العالمين كم له علينا من فضائل، الحمد لله ربّ العالمين.

ومما شرع الله -عزّ وجلّ- ويعرفنا به ويكون حسن اعتقادنا في الله وقتما نقوله سببًا لمضاعفة أجورنا: الأذكار، يعني الذّكر بنفسه عبادة عظيمة سهلة يسيرة، لا مال مدفوع ولا مخاطرة ولا إقدام ولا يحتاج تفرغ ولا يستهلك منا جهد، وهذه العبادة لها أجور عظيمة، وإذا حسنت العقيدة وأصبحت أقوى أصبح هذا الذّكر له عظيم الأجر.

إذًا لابد أن نعرف أنّ حسن اعتقادنا في الله -وخصوصًا حين نتكلم بالأذكار ونقولها وتجديد هذه العقيدة في نفوسنا- له أثر كبير في رفع الدّرجات ومحو الخطيات، وهذه العبادة الحمد لله يطيقها كلّ أحد وتؤدي في كلّ وقت ومكان، أقصد هنا ذكر الله عمومًا، وهذا الذّكر المخصوص أذكار الصّباح والمساء الحمد لله أيضًا من الأذكار المخصوصة بزمن وإن فات زمنها لا بأس تقال حتّى لو فات زمنها آملين من الله أن يقبل من عباده وهو -سبحانه وتعالى- الغفور الشّكور.

ولذلك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يخبرنا عن فضل الذّكر الّذي تجتمع فيه هذه العقائد، حين نذكر ربنا ننطق بما نعتقده في ربّ العالمين، فإذا كان هو

مستقر في نفسنا ونطقنا بلساننا؛ فما أطيب هذا الشّيء وما أعظم أجره، وقد قال -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يحدث أصحابه الكرام: «ألا أخبرُكم بخيرِ أعمالِكم وأزكاها عند مليكِكم وأرفعِها في درجاتِكم، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذهبِ والفِضةِ، وخيرٌ لكم من أن تلقوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: ذِكرُ اللهِ» وهذا حديث صحيح أخرجه أحمد.

ومثله وأذكركم بفضائل الذّكر عمومًا ليكون ديدن الإنسان الدّال على ما في الوجدان من عقيدة صافية في الرّحمن، جاء رجل يشكو إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كثرة شرائع الإسلام ويطلب منه أن يرشده إلى شيء يوصله إلى الجنّة، بماذا أجابه نبيّنا الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-؟ في الحديث: «أنَّ أعرابيًّا أتَى النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّ شَرائعَ الإسلامِ كثُرتْ عليَّ فأنبِئْني بأمرٍ أتشبَّثُ به، قال: لا يَزالُ لِسانُكَ رَطْبًا من ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ»[1].

وحين تتأمّل في هذا الشّرع العظيم ستجد أن ذكر الله أعظم شيء لأنّه يعبر عن معرفتنا لربّنا، يعبر عن عقيدتنا في ربّنا، ولو تأمّلت في نصوص الكتاب والسّنة سترى عجبًا، ففي الجهاد في سبيل الله وفي حالة ملاقاة الأعداء يأمر الله تعالى بالثّبات وبالإكثار من ذكره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

(١) صححه الألباني.

(٢) الأنفال: ٤٥.

وبعد أداء الصّلاة الّتي هي من أعظم العبادات أيضًا ربّ العالمين يأمرنا بالذّكر: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1] وهذا مثله في صلاة الجمعة، صلاة الجمعة المبنية وقت انتهائها على الانتشار، أمرهم ربّ العالمين إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الأرض وأن يبتغوا من فضل الله ومع ذلك أوصاهم في هذا الوقت:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وفي مناسك الحج أيضًا يأتي الأمر بذكر الله في أثناء أعمال الحجيج:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[3] عمومًا اذكر الله ذكرًا كثيرًا وسبحه بكرة وأصيلًا.

وإذا كان في قلب الإنسان معرفة بالرّحمن فسيعظم هذا الذّكر وسيكون أجره عظيمًا، وأكيد أنكم تعرفون ما هي الباقيات الصّالحات! فقد ورد في الحديث: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قولوا: سبحانَ اللهِ، و الحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ، واللهُ

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) الجمعة: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٠٠.

أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ.»[١].

وقد ورد أيضًا في الحديث: «أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- مر بشجرةٍ يابسةِ الورقِ فضربها بعصاهُ فتناثر الورقُ فقال إنَّ الحمدُ للهِ وسبحانَ اللهِ ولَا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ لتساقط من ذنوبِ العبدِ كما تساقطَ ورقُ هذه الشجرةِ»[٢].

وفي حديث الإسراء لما نقل لنا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- سلام إبراهيم -عليه السّلام- قال -صلّى الله عليه وسلّم-: «رأَيْتُ إبراهيمَ الخليلَ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ليلةَ أُسْرِيَ بي فقال يا محمَّدُ أقْرِئْ أُمَّتَك منِّي السَّلامَ وأخْبِرْهم أنَّ الجَنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذْبةُ الماءِ وأنَّها قِيعانٌ وغِراسُها سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ»[٣]

أذكر نفسي وأذكركم بهذا الأجر الكثير والعاقبة الحميدة من أجل أن نجمع قلوبنا أثناء ذكرنا وقراءتنا لأذكار الصّباح والمساء، ولنعلم أنّ زيادة معرفة الله خاصة الواردة في نفس الذّكر ستكون سببًا لزيادة أثر هذا الدّعاء علينا وأجر هذا الدّعاء، فيكون العبد حقًّا ذاكر، من أجل أن لا يكون العبد غافلًا يجب أن تكون هذه الكلمات الّتي تخرج من لسانه قد استقرت في وجدانه معانيها.

---

(١) صححه الألباني.

(٢) حسّنه الألباني.

(٣) حسّنه الألباني.

ذكر أهل العلم كثير من فوائد استحضار المعاني ومن ذلك ما ذكره ابن القيم رحمه الله: (أَنَّ دَوَامَ ذِكْرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالى يُوْجِبُ الأَمَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ العَبْدِ فِي مَعَاشِهِ ومَعَادِهِ).

هنا الذّاكر يجب أن يكون ذاكرًا تمامًا لهذه المعاني الّتي يقولها؛ لأنه حين يذكر الله مثلًا في الدّعاء الّذي نحن بصدده الآن: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) يقول: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) يقول ما يعتقده أن ربه عالم الغيب والشهادة فلا ينسى هذا المعنى، لا ينسى علم الله المحيط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا، يقول: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) كلّ شيء في علمك سواء، مهما كان من شأن العبد إلّا يكون من شأنه أمر في علم الله، أي شيء تطلبه سيكون في علم الله هل هو مكتوب لك أو ليس مكتوبًا، هل فيه مصلحة لك وإذا ليس فيه مصلحة، هل الآن هو المناسب أو يتأخر عليك. (عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ) حين تذكرها تؤمن نفسك بإذن الله من نسيان الله الّذي يوجب نسيان النّفس ومصالحها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدّنيا ونسيه في العذاب في الآخرة نعوذ بالله. وهنا النّسيان في حق الله معناه ترك الله للعبد، يبقى العبد في ظلمته، يبقى العبد في قسوة قلبه، في تشتته، في غمه، في همه، في غمه، في حزنه، ولكن إذا امتلأ قلب العبد معرفة بالله ثم اللسان يتكلم بهذه المعرفة سيهدأ القلب وتدخل إليه الطّمأنينة والفرح والسّرور، وهذا عاجل الثّواب، أن نعيش في طمأنينة وسكينة.

حين نتأمّل في هذا الدّعاء: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ) نعلم أننا نتكلم ونخاطب ونناجي الملك الّذي له الملك المطلق، العالم بكلّ شيء، القادر على كلّ شيء، المدبر لكلّ شيء، أنت وصلت أعلى ما يمكن أن يكون عليه العبد في الوصول خاطبت ملك الملوك، خاطبت من بيده الأمر حقيقة.

ثم تشهد: (أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ) ما مطلبك الآن؟ مطلبك الّذي تطلبه في هذا الدّعاء لو اجتمع أهل الأرض جميعًا على أن يحققوه لك والله ما استطاعوا أبدًا (أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي) نفسي الّتي بين جنبي من يحميني منها ويدفع عني شرها؟ من؟ من يحميني من نفسي؟ ألجأ إليك وأحتمي بك من نفسي الأمارة بالسّوء.

ثم أقول: (وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ) ولو اجتمع أهل الأرض لأجل أن يكفوني شر الشّيطان إغوائه ووسوسته لا يستطيعون، فهو يدعو ونحن قرأنا المرة الماضية: (وشرِّ الشَّيطانِ وشَركِهِ) و (وشِركِهِ)، لو قرأنا: (وشِركِهِ) هو يدعو إلى الشّرك والكفر وله حبائل يسحب النّاس بها وله مصائد يقع النّاس فيها.

وهذا مناسب جدًا أن تفهمه على الواقع الّذي نعيشه؛ لأننا نرى من مصائد الشّيطان الّذي يصيد بها الخلق ما يتعجب منه الإنسان إلّا أن الإنسان المؤمن الّذي ينظر لمثل هذه المصائد عندما يقرأ هذا الدّعاء يكون قلبه حاضرًا ويعلم أنّ الهداية والثبات عليها بيد الله، ويعلم أنّ الشّيطان له حبائل تدخل في الشّرك لا محالة، ولا ينجو أبدًا إلّا من سلّمه الله؛ لأن حبائل الشّيطان كما تعلمون الّتي

يصطاد بها الإنسان لو كتب عليها الشّيطان أنها شرك لم يكن ليأتيه أحدًا ولا يقع في مصيدته أحد، ولكن الشّيطان الّذي يعادي الإنسان وله في معاداته تاريخ طويل ماذا يفعل بالإنسان؟ يرمي إليه حبائل ومصائد ويسمي الأمور بغير اسمها، فمن هنا يأتيه ويقول له: (تعال إلى هذه الأمور الّتي ليست شركًا وليست كفرًا واترك عنك المتخلفين الّذين يسمون الأشياء بغير اسمها) فيوقعه في أمور كأن في ظاهرها مسالك، أي مجرد تصرف بالبدن ولكن هو يخفي وراء هذا عقائد، وطبعًا هناك شياطين الإنس والجنّ متعاونين فيغروا الخلق لأجل أن يقعوا في مثل هذه الأمور بإغراء فيه أمور يمكن أن تحبها النّفس. يقولون للناس مثلًا: (تعالوا إلى التّأمّل!) هل هذا هو التّأمل الّذي أمرت به الشّريعة وهذا التّفكّر الّذي أراده ربّ العالمين أم ورائه ما ورائه من عقائد باطنية؟! فهنا تظهر مصائد الشّيطان، يأتي بأسماء مقبولة وأمور ترضاها النّفس ثم يأتي فيسحب الإنسان إلى الشّر!

ولذلك عليك بالدّعاء مهما نصحك النّاس بأنّ هذا الشيء ليس بحرام، اترك عنك النّاس وآراءهم وابتهل إلى الله واجعل الأمر بينك وبين الله واصدق في أنك لا تريد إلّا رضا الله، أهم شيء الصّدق وقل: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ) يجب أن تشعر أنّه هو المطّلع -سبحانه وتعالى- على حقائق الأمور، وعلى الصّادقين والكاذبين، والمخادعين والرّاغبين في إرشادك إلى الحقّ، يا الله يا عالم الغيب والشّهادة فاطر السّماوات (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ)، أنا

مسلّم أمري لك، أنا أشهد أن لا إله إلّا أنت ولكن عندي خطرين: (أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي) لأن نفسي ممكن أن تعاند الحقّ لأنّ فلان الّذي لا يعجبني هو الّذي قال إنّ هذا باطل، أو علان الّذي أشعر أنه يتحكم هو الّذي قال لي إن هذا الأمر باطل، أو كذا الّذي أشعر أنه ليس عنده علم ولا عنده اطلاع هو الّذي قال: باطل. ولكن يمكن قال: باطل؛ لأنّه لا يفهم الموضوع، وهذا لا يفهم وهذا يبغضني وهذا يريد بي شرًا وفي النهاية أسير على هوايا ولكن حين نأتي لهذا الحديث: (أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي) يا ربّ لا تجعلني أتخذ قراراتي بناء على آراء نفسي الأمارة بالسّوء.

وهناك أحد ثانٍ خطير، أخطر من هذه النّفس الأمارة بالسّوء؛ لأنه يصطاد النّفس الأمارة بالسوء ويصل إليها في حالات الضّعف، عناد النّاس والإصرار على الرّأي هذه حالات ضعف عند الإنسان، يضيع أمور كثيرة بذل جهده فيها لمجرد العناد، حين يعرف الشّيطان أن صفتك العناد يأتي إلى هذه الصّفة ويتحكم فيك كأنه يتحكم في لعبة.

الشّاهد أنّ الشّيطان له شرك يوقع في الشّرك وأوّل هذه الحبائل الّتي يوقع النّاس فيها في شركه وشركه هي: تغيير أسماء الأشياء، لا يمكن أنّ يأتي الشّيطان ويقول لك: هذا شرك، فكر من عهد نوح -عليه السّلام- كيف حول أولئك القوم المؤمنين الذّين كانوا من ذرية آدم -عليه السّلام- من تذكر الصّالحين إلى عبادة الصّالحين، ألم يفعل ذلك تحت عنوان شرعي وعنوان طيب وليس فيه إشكال،

قال لهم: (اصنعوا لهم تماثيل تذكروهم بها وتذكرون الله!) تصوروا بهذا الاسم باسم (ذكر الله) أوصلهم إلى الشّرك!

أعظم من ذلك ما فعله مع آدم -عليه السّلام- هو ألد الأعداء وبدأ تاريخ عداوته من عند لحظة الأمر بالسّجود ظهر ما في باطنه من الإباء والاستكبار. ونلاحظ طبعًا أنّ الله -عزّ وجلّ- حذر آدم من عداوة إبليس ولكنه لم ينتبه لها، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[1] واضح، وسوس له ووسوس له ولكن ماذا استخدم في إيقاع آدم في شركه؟ هذا هو الشّاهد الآن، استخدم إبليس في إيقاع آدم -عليه السّلام- في شركه شيئين:

الأوّل: عرض الإغراءات الخطيرة، قال له: (تعال أدلك على الملك والخلود).

الثّاني: أنّه كان يحلف له أنّ هذا ليس فيه إلّا الخير.

في مثل هذه الأحوال لابد أن نفكر في هذه العداوة الّتي بنيت من ذاك الزّمان وكيف يقول الشّيطان لآدم -عليه السّلام- إنّه سيدله على شجرة الخلد وملك لا يبلى، وهذا الّذي قاله لآدم -عليه السّلام- هو الّذي يقوله دائمًا وأبدًا لذريته. ومن أجل ذلك تأمّلوا كثيرًا في القصة الّتي جاءت في سورة طه، حين قال ربّ العالمين لآدم -عليه السّلام-: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.

ثم بيّن له -عزّ وجلّ- أنّه لو أخرجه من الجنّة سيشقى:

---

(١) طه: ١١٧.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾

كانت فترة اختبار وكان هذا الخروج من الجنّة خروج بتجربة يعرف فيها آدم -عليه السّلام- عدوه ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ بهذه الطّريقة يكون تصرف الشّيطان مع الإنسان.

فلا يستسلم أحدكم للشيطان أو يثق في رأيه، بل يتصور أنّ الشّيطان يوقعه في الحبائل، يوقعه بتسمية الأشياء بغير اسمها، ولا يظنّ أحد أنّه في سلامة من الشّيطان. وقد ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ مِن عِندِهَا لَيْلًا، قالَتْ: فَغِرْتُ عليه، فَجَاءَ فَرَأَى ما أَصْنَعُ، فَقالَ: ما لَكِ؟ يا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ فَقُلتُ: وَما لِي لا يَغَارُ مِثْلِي علَى مِثْلِكَ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: وهنا موطن الشّاهد: أَقَدْ جَاءَكِ شيطَانُكِ قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، أَوْ مَعِيَ شيطَانٌ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وَمع كُلِّ إنْسَانٍ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وَمعكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عليه حتَّى أَسْلَمَ.»[1] إذًا لا يشعر الإنسان أنّه في حمى لو لم يحمه الله، الشّيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، ويساعده على ذلك طبيعته الّتي خلقه وخلقنا عليها ربّنا، وقد ثبت في صحيح البخاري أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «فإنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٥)،

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٩).

فهذا هو الوسواس الخناس الّذي حين تناقشنا في سورة النّاس قلنا: هذا هو الوسواس الخناس وأنّ الشّيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سَها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس، فكيف بكم وأنتم تقولون لربّ العالمين، وكلنا انكسار وذل له -سبحانه وتعالى- : إني أعوذ بك من شر نفسي الّتي يتسلط عليها الشّيطان ومن شر الشّيطان وشركه، فالشّيطان يستغل ضعف الإنسان، الإنسان له نقاط ضعف كثيرة وهي هذه الأمراض الّتي تقع في القلب فتصبح مدخلًا من مداخل الشّيطان أو على الأصح نقول: طبيعة النّفس الإنسانية فيها غضب، فيها شهوة، النّفس الأمارة بالسّوء تأمرك بالغضب، بالكبر، بالعجب، بالغرور بالحسد، بالغفلة، بالكذب، بالظّلم، أمور كثيرة، حب المال...الافتتان بأمور الدّنيا عمومًا، كلّ هذه منافذ يدخل منها الشّيطان للوسوسة.

الشّيطان له هدف قريب وله هدف بعيد، الهدف القريب كما تبيّن لنا أن يوقع الإنسان في شركه الّذي يبتدئ بالشرك والكفر، ويوقعه في الذّنوب والمعاصي، إذا لم يستطع عليه في الشّرك والكفر يوصله إلى الذّنوب والمعاصي.

المشكلة اليوم واليوم خاصّة الإيقاع في الشّرك والكفر كما تبيّن في أوّل الكلام أصبح أمرًا سهلًا، بمعنى أنّ الإنسان يجد أنّ الشّيطان وأعوانه يسمّون الأشياء بغير اسمها فتكون مكيدة من الشّيطان، مصيدة يصطاد بها الإنسان، ولا تنسوا أنّه يقسم، فقد أقسم لأبينا آدم أنّه ناصح له: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1] هذه الطّريقة الثّانية.

(١) الأعراف: ٢١.

له طريقتان:

- وعود وتسمية الأشياء بغير اسمها.
- ومن جهة أخرى يقسم أنّه من النّاصحين.

وطبعًا مثل هذه الأمور شياطين الإنس يستفيدون منها، وراؤها من شياطين الإنس من يكون فائدته محصورة أنّه سيجد مالًا من وراء هذا الأمر، يشيع هذا الشّيء وينشره على أنه -كما يعبر الناس اليوم- "ثقافة" ويصبح النّاس يدخلون فيها! أيًّا كان هذا الأمر لابد أن نجد أن هناك جهة أحد يربح من ورائها، أما في ثقافة اليوم يعملون دورات لهذا الشّيء الّذي هو من حبائل الشّيطان ويوصل الإنسان إلى الشّرك، أو له منتجات تباع أو له كتب تباع، المهم هناك أموال من وراء قبولك لهذه الطّريقة في التّفكير.

شياطين الجنّ يريدون إفساد عقيدتك وشياطين الإنس يريدون تحقيق هذا لمصالح متنوعة، وفي النهاية إما تسلط على النّاس والشّعور بأنّ لهم سلطان أو أن يكون هناك مصالح مادية.

على كلّ حال، لا ننسى أبدًا أن من أساليبه تزيين الباطل، وهو يتدرج خطوة بعد خطوة لا يكلّ ولا يملّ، وإذا أراد العبد أن يخرج من أمر قد دخل فيه ومشى خطوات يثقله عليه، يزين الحرام ويثقل التّوبة منه. وتصوروا كيف زيّن لقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وقريش الشّرك والكفر وعبادة الأصنام، وكيف زيّن لقوم لوط الفاحشة، وزيّن لقرون متعددة من الخلق أنواع الذّنوب والمعاصي، وأسلوبه دائمًا أن يمني النّاس: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] هذه الحقيقة! انظري للناس عندما يدخلون للمقامرة مثلًا -الله يعيذنا- كيف يخسر خسارة بعد خسارة ولكن الشّيطان دائمًا يمنيه أنّه ستفوز في التّالية، وأيضًا السّارق والمرتشي، كلّ هؤلاء إنما ساروا وراء الشّيطان والشيطان وعدهم ومنّاهم.

الآن حين نقول هذا الدّعاء العظيم: (اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ) سنعرف عن ربّنا علمه المحيط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا، وقدرته التّامة الّتي بها فطر السّماوات والأرض، وربوبيته وملكه لكلّ شيء لمن وراءه التّدبير. نعرف عن ربّنا أنّه الإله الّذي يستحق الألوهية وأنّ لا أحد غيره عالمًا بهذه النّفس وأسرارها ومطّلعًا على وساوس الشّيطان وشره، مطّلع على مؤامرات وكيد شياطين الإنس والجنّ، لا أحد غيره -سبحانه وتعالى- مطّلع على ما في نفوسنا وعلى شرور الشّيطان، فما لنا إلّا هو -سبحانه وتعالى- يعيذنا من هذه الشّرور ويحمينا.

(وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ) وفي الزّيادة (وأن أقترِفَ علَى نَفسي سوءً أو أجُرَّهُ إلى مسلِمٍ) وهذه الزّيادة مهمة جدًا في فهم الخطر لأني حين أحتمي بالله من حبائل الشّيطان ومن مصائده أيضًا النّتيجة أن أحتمي من أثر الشّيطان عليّ: (وأن أقترِفَ علَى نَفسي سوءً) لأنّ الإنسان بقراراته المشوشة الّتي ليس فيها لجوء إلى عالم الغيب والشهادة، ليس فيها لجوء لمن علمه أحاط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا، وليس فيها لجوء لمن بيده مقاليد كلّ شيء، يمكن أن يكون هذا القرار

---

(١) النساء: ١٢٠.

سببًا لأن أجرّ على نفسي المهالك؛ لأن نفسي أمارة بالسوء، ميالة إلى الشّهوات واللّذات الفانية.

وممكن أيضًا أقوم بعمل أو أتخذ قرارًا أسوأ من أن أجرّ على نفسي سوء وهو: أن أجرّه إلى مسلم: (وأن أقترِفَ علَى نَفسي سوءً أو أجُرَّهُ إلى مسلِمٍ) أتسبب به لمسلم. نحن نودّ أن يصل خيرنا إلى غيرنا وليس أن أقترف على نفسي سوء وأيضًا أرتكب جرمًا أو أكون سببًا لأنّ يرتكب غيري جرمًا أجرّ سوء على مسلم.

الدّعاء هنا يكون صاحبه غاية في الشّعور والإيمان بعظمة ربّ العالمين وإحاطة علمه بكلّ شيء، وأنّه على كلّ شيء قدير، فتُشتكى إليه النّفس ويُرجى منه -سبحانه وتعالى- أن يحمينا من شرها، وأن يحمينا من أفكار شيطانية نتسبب بسببها في إيصال الشّر لغيرنا وإيقاع غيرنا في المعاصي.

اللّهمّ احفظ علينا جوارحنا حتّى لا نأخذ قرارات تؤذينا أو تؤذي إخواننا المسلمين، لا نظلم أنفسنا ولا نظلم إخواننا المسلمين، لا نؤذي أنفسنا ولا نؤذي إخواننا المسلمين. وقد وقع النّاس اليوم في أمور كثيرة من هذا النّوع بسبب سهولة وصول النّاس لبعضهم، فهذه الأجهزة أعطت فرصًا لأمور كثيرة لو لم يكن هناك شعور أنّ الله مطّلع وعالم الغيب والشّهادة وأنّه على كلّ شيء قدير وأنّ أخذه أخذ عزيز مقتدر لفعل الشّيطان بالنّاس الأفاعيل ولكن ما ترون من تعدٍ على الخلق وإفشاء أسرارهم وتصوير أحوالهم الّتي لا يريدون لأحد كشفها ومن التّجسس عليهم، كلّ هذا لأنّه غائب عن الذّهن بسبب ضعف الإيمان طبعًا أنّ الله عالم ما غاب عن الخلق وما شهدوا وأنّه على كلّ شيء قدير، وأنّ هذا

الّذي تفعله اليوم وأنت آمن لا تدري ماذا سيكون غدًا أثره عليك من عقوبة يعاقب الله بها العبد على تفريطه.

هذا الحديث الّذي تدارسناه وهذا الذّكر الّذي أمر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه دائمًا يدفعنا ذكره إلى الشّعور بإحاطة الله بنا، إحاطة علم وإحاطة قدرة، فتكون النّفس غاية في التّواضع لربّ العالمين وغاية في اليقين باطلاعه على كلّ أحوال الخلق.

اللّهمّ زدنا إيمانًا ويقينًا واجعلنا يا ربّ العالمين من الصّالحين الثّابتين على دينك، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أنّ لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته